

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ
مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا
عَلَّمْتَ رُشْدًا ۝٦٦﴾ [الكهف: 65 - 66]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

بعد أن ذكر البيان القرآني سرعة ارتداهما وتتبع آثارهما حرصاً وشوقاً للقاء الخضر ﴿فَازْتَدَا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمَا قَصَصًا﴾، أعقبه بذكر مشهد اللقاء، ومبادرة موسى ﷺ بطلب اتباع الخضر والتعلم منه فقال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾.

العلاقة بين
الجِدِّ في طلب
العبدِ الصَّالحِ
واللقاءِ العلميِّ
الَّذِي خَلَّدَهُ
القرآنُ

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿عَبْدًا﴾: أصلُ (عبد) يدلُّ على لين وذلٍّ، ومنه طريقُ مُعَبَّدٍ، وهو المَسْلُوكُ المَذْلُومُ⁽¹⁾، والعَبْدُ: الإنسانُ حُرًّا كان أو رَقِيقًا، وأصلُ العُبُودِيَّةِ الخُضُوعُ والذُّلُّ، والعِبَادَةُ: الطَّاعَةُ، والتَّعَبُّدُ: التَّنَسُّكُ⁽²⁾، والعِبَادَةُ أبلغُ منها، لأنها غايةُ التَّذَلُّلِ، ولا يستحقُّها إلَّا مَنْ له غايةُ الإِفْضَالِ، وهو الله تعالى، والعبدُ يُقال على أربعة أضرب: الأوَّل: عبدٌ بِحُكْمِ الشَّارِعِ؛ وهو الإنسان الذي يَصَحُّ بيعُهُ وابتِباعُهُ، والثَّاني: عَبْدٌ بِالْإِيجَادِ، وذلك ليس إلَّا لله، والثَّالث: عَبْدٌ بِالْعِبَادَةِ والخدمة، والرَّابِع: ما هو عبدٌ للدُّنْيَا وأعراضها الفانية⁽³⁾، والمرادُ بالعَبْدِ في الآية: عبدًا من عباد الله، وهو الخضر ﷺ كما دلَّت عليه الأحاديثُ الصَّحِيحَةُ⁽⁴⁾.

(2) ﴿رَحْمَةً﴾: أصلُ (رحم) يدلُّ على الرِّقَّةِ والعَطْفِ والرَّأْفَةِ⁽⁵⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عبد).

(2) الجوهري، الصَّحاح، والرَّبِيدِي، تاج العروس: (عبد).

(3) الزَّاغِب، المُفْرَدَات، ص: 542.

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 175، وابن عاشور، التَّحْرِيرُ والتَّنْوِير: 15/ 369.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رحم).

وَالرَّحْمَةُ فِي بَنِي آدَمَ: رِقَّةُ الْقَلْبِ وَعَطْفُهُ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ: عَطْفُهُ وَإِحْسَانُهُ وَرِزْقُهُ، وَالرَّحْمَةُ: الْمَغْفِرَةُ⁽¹⁾، وَالرَّحْمَةُ رِقَّةٌ تَقْتَضِي الْإِحْسَانَ إِلَى الْمَرْحُومِ، وَإِذَا وُصِفَ بِهِ الْبَارِي فَلَيْسَ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْإِحْسَانُ الْمَجْرَدُ دُونَ الرِّقَّةِ، وَعَلَى هَذَا رَوَى أَنَّ الرَّحْمَةَ مِنَ اللَّهِ إِنْعَامٌ وَإِفْضَالٌ⁽²⁾، وَاسْتُعْمِلَتِ الرَّحْمَةُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى عِدَّةِ أَوْجِهٍ مِنْهَا: الْجَنَّةُ، وَالْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالنَّبِيُّوَّةُ، وَالْقُرْآنُ، وَالرِّزْقُ⁽³⁾، وَالْمُرَادُ بِالرَّحْمَةِ هُنَا: الْوَحْيُ وَالنَّبِيُّوَّةُ⁽⁴⁾، وَقِيلَ: الْوَلَايَةُ⁽⁵⁾.

(3) ﴿لَدُنَّا﴾: لَدُنْ بِمَعْنَى: لَدَى، وَهُمَا ظَرْفَا مَكَانٍ بِمَعْنَى (عِنْدَ)؛ إِلَّا أَنَّهُمَا لَا يُسْتَعْمَلَانِ إِلَّا فِي الْحَاضِرِ، يُقَالُ: "لَدُنْهُ مَالٌ" إِذَا كَانَ حَاضِرًا⁽⁶⁾، وَ(لَدُنْ) أَخْصَصَ مِنْ (عِنْدَ)، لِأَنَّ (لَدُنْ) يَدُلُّ عَلَى ابْتِدَاءٍ نَهَائِيَّةٍ؛ أَي: يَوْضَعُ مَوْضِعِ نَهَايَةِ الْفِعْلِ⁽⁷⁾، وَمَعْنَى ﴿لَدُنَّا﴾: عِنْدَنَا⁽⁸⁾.

(4) ﴿رُشْدًا﴾: أَصْلُ (رُشْدٌ) يَدُلُّ عَلَى اسْتِقَامَةِ الطَّرِيقِ، وَالرُّشْدُ وَالرَّشْدُ: خِلَافُ الْغَيِّ⁽⁹⁾، وَنَقِيضُ الضَّلَالِ، وَأَرْشَدَهُ اللَّهُ إِلَى الْأَمْرِ: هَدَاهُ، وَاسْتَرْشَدَهُ: طَلَبَ مِنْهُ الرُّشْدَ، وَالرُّشْدُ: هُوَ صِلَاحُ الْأَمْرِ وَكَوْنُهُ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ، وَهُوَ اسْتِقَامَةٌ عَلَى الطَّرِيقِ الْحَقِّ مَعَ تَصَلُّبٍ فِيهِ⁽¹⁰⁾، وَقِيلَ: الرُّشْدُ وَالرَّشْدُ وَالرَّشَادُ: الْهَدَايَةُ وَالْاسْتِقَامَةُ⁽¹¹⁾، وَالْمَقْصُودُ بِ﴿رُشْدًا﴾ فِي الْآيَةِ: عِلْمًا ذَا رُشْدٍ أَرُشِدُ بِهِ فِي دِينِي⁽¹²⁾؛ أَي: عِلْمًا ذَا هَدًى وَإِصَابَةٍ خَيْرٍ⁽¹³⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يقول تعالى ذِكْرَهُ: وَجَدَ مُوسَى وَفَتَاهُ بَعْدَ الْبَحْثِ وَتَقْصِي الْأَثَرِ الْخَضِرَ؛ وَهُوَ عَبْدٌ مِنْ خَوَاصِّ عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى آتَاهُ اللَّهُ الْوَحْيَ وَالنَّبِيُّوَّةَ، وَأَعْطَاهُ عِلْمًا يَخْتَصُّ بِاللَّهِ وَلَا يُعْلَمُ إِلَّا

(1) ابن منظور، لسان العرب: (رحم).

(2) الرَّاغِب، المفردات، ص: 347.

(3) ابن الجوزي، نزهة الأعيُن التَّوَاتُرُ، ص: 333.

(4) الفخر الرازِّي، مفاتيح الغيب: 126 / 21، وأبو السَّعُود، إرشاد العقل السليم: 234 / 5.

(5) ابن عجيبة، البحر للديد: 288 / 3.

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة، والفريسي، الصباح للنبر: (لذن).

(7) الرَّاغِب، المفردات: (لذن).

(8) ابن جرير، جامع البيان: 62 / 18.

(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رشد).

(10) ابن منظور، لسان العرب، والزَّيْدِي، تاج العروس: (رشد).

(11) السَّيَمِي، الحلي، غُمدَةُ الْخُفَافِ: 93 / 2.

(12) الزَّمَخْشَرِي، الكَشَاف: 733 / 2.

(13) القاسمي، محاسن التأويل: 48 / 7.

بتوفيقة، وهو من علم الغيب، فبادر موسى بطلب متابعة الخضر قائلًا له: هل تأذن لي في مصاحبتك واتباعك بشرط أن تعلمني من العلم الذي علمك الله إياه، وهو علم هداية ورشاد إلى الحق، أسترشد به في حياتي، وأصيب به الخير في ديني؟⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

نكتة استعمال (الفاء) في قوله ﴿فَوَجَدَا﴾:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ هي فاء العطف التي تفيد التعقيب والترتيب؛ أي إنه عقب الوصول إلى الصخرة، وجدا عبدًا من عبادنا⁽²⁾، بما يُشير إلى سرعة الرجوع والبحث عن العبد الصالح، والرغبة بلقائه بأسرع وقت، وهي الفاء الفصيحة مُنبئة عن المحذوف وهو (حتى أتيا الصخرة)⁽³⁾، بما يركز على المشهد البارز في القصة - وهو مشهد اللقاء - ويومئُ بسرعه.

دلالة التعبير بالفعل الماضي ﴿فَوَجَدَا﴾:

أتى التعبير القرآني بصيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾؛ ليدلَّ على أن اللقاء العلمي بين موسى والخضر قد تحقق وحدث في الماضي فأنتج وأينع الثمر، إذ هو في سياق قصة حدثت ومضت، ولم تتكرر.

فائدة التعبير بصيغة المثنى في قوله ﴿فَوَجَدَا﴾:

عبر البيان القرآني عن الفعل الماضي بصيغة المثنى في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾؛ أي: جعل سبحانه إيجاد الخضر لكل من موسى وفتاه، مع أن مقصود اللقاء هو موسى ﷺ لا الفتى⁽⁴⁾.

مشهد لقاء
موسى والخضر
يُصوِّرُ سمو
الأدب في التواضع
عند الطلب

الاهتداء إلى
مصدر العلم
هو غاية التوفيق
لصواب الطريق

لقاء علمي بين
موسى والخضر
تحقق وأنتج
أينع الثمر

في رحلة الحق لا
أحد يهضم له
حق

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 287/3، وطنطاوي، الوسيط: 552/8.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4558/9.

(3) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 126/12.

(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4558/9.

سر التعبير بلفظ ﴿عَبَدًا﴾ دون مرادفاته:

العبودية صفة
تشريف وتفخيم
ورفع للمقام
عظيم

ذكر البيان القرآني الخضر في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ بوصف العبودية لله، فلم يقل مثلاً: (فوجدا بشراً أو إنساناً أو رجلاً)؛ وذلك تقريباً لمنزلته، وتوحيها وتبنيها على علة تخصيصه بالرحمة والعلم اللدني، وبأن يكون معلماً لموسى ﷺ، ولما في هذا الوصف من رفعة قدره وتفخيم شأنه وتكريمه؛ لأنه ربطه بالعبودية لله تعالى، وهي أسمى المراتب للبشر؛ إذ هي الصفة التي ذكرها الله لخيار خلقه كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ

﴿١٧١﴾ [الصفحات: 171].

سر التنكير في لفظ ﴿عَبَدًا﴾ في السياق:

الوصف بلفظ
العبد من
أشرف الأوصاف
لنسبته إلى عليّ
الألطف

التنكير في قوله تعالى: ﴿عَبَدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ للتفخيم؛ أي: تفخيم شأن العبد الصالح الذي لُقِّبَ بالخضر؛ لمعجزة أكرمه الله بها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إنما سُمِّيَ الخضر، أنه جلس على فروة بيضاء؛ فإذا هي تهتز من خلفه خضراء" (1)، والمراد بقوله: فروة بيضاء: الأرض اليابسة، وقوله: فإذا هي تهتز من خلفه خضراء؛ أي: أنبتت وخرج منها الزرع بمجرد جلوسه عليها، مما يدل على علو شأنه، كيف لا وهو في أرجح أقوال المفسرين أنه من الأنبياء، قال القرطبي: "هو نبي عند الجمهور؛ لأن النبي لا يتعلم ممن هو دونه، ولأن الحكم بالباطن لا يطلع عليه إلا الأنبياء"، ولقوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾، والرحمة هي الوحي والنبوّة، وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: "والذي عليه الأكثر أن كان نبياً"، وقال: "والقول بولايته خلاف المختار" (2).

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب: حديث الخضر مع موسى ﷺ، الحديث رقم: (3221).

(2) النووي، بستان العارفين، ص: 60.

وَعَدَلْ عَنِ الْإِضَافَةِ إِلَى التَّنْكِيرِ وَالصِّفَةِ، فَلَمْ يَقُلْ: (فوجدنا عبداً)؛ وإنما قال: ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾؛ لأنه لم يسبق ما يقتضي تعريفه، وللإشارة إلى أن هذا الحال الغريب العظيم الذي ذُكِرَ من قصته ما هو إلا من أحوال عباد كثيرين لله تعالى، وما منهم إلا له مقام معلوم، فكان وصفه بأنه من عباد الله تشریفاً له⁽¹⁾.

دلالة ﴿مِّنْ﴾ بين البيانية والتبعية في السياق:

حرف الجرّ ﴿مِّنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ بيانية؛ لبيان المقصود بهذا العبد؛ إذ الخلق كلهم عباد الله، لكن بعض هذه العبودية بالتسخير وبعضها بالاختيار⁽²⁾، والمقصود هنا هو جليل الشأن ومن جملة خواص الخواص⁽³⁾؛ فقد خصه الله بالنبوة، وبعلم من علوم الغيب، أو تبعية؛ أي: عبداً من بعض عبادنا الذين اصطفيناهم وخصصناهم بالنبوة والعلم اللدني.

سرُّ الإضافة في المركب الإضافي ﴿عِبَادِنَا﴾:

الإضافة في ﴿عِبَادِنَا﴾ إلى الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ هي للتشريف والتكريم والاختصاص⁽⁴⁾؛ أي: عبداً جليلاً الشأن ممن اختص بنا وشرف بالإضافة إلينا، فالإضافة إضافة تشريف؛ لا إضافة تعريف؛ لأن وصف العبودية لله متحقق لسائر المخلوقات، فلا تفيد إضافته تعريفاً⁽⁵⁾.

نكتة التعبير بـ ﴿عِبَادِنَا﴾ دون (عبيدنا):

يُجمع لفظ (عبد) على: (عبيد) و(عباد)، وكان يمكن أن يُعبر البيان القرآني بـ (عبيدنا) في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ

من كان من
العباد؛ نال في
سعيه المرات

العبودية
مضافة إلى الله
تعالى إضافة
تشريف لا
إضافة تعريف

التعبير
عن الخضر
بالعبودية إظهاراً
لكرامته عند
المعبود

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 369 / 15.

(2) الزاغب، المفردات، ص: 543.

(3) القشيري، لطائف الإشارات: 407 / 2.

(4) أبو حيان، البحر المحیط: 203 / 7، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 234 / 5.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12 / 15.

عِبَادِنَا؛ لكن جاء استعمال البيان القرآني بلفظ **﴿عِبَادِنَا﴾**؛ لأنه جرى في استعمال العرب أن تجمع كلمة (عبد) الذي هو مُسْتَرْقٌّ على (عبيد)، والعبد الذي هو عابدٌ على (عباد)⁽¹⁾، وفي هذا التعبير إظهاراً لكرامة الخضر ومكانته في مقام العبادة لله، فالعبودية: إظهاراً للتذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا مَنْ له غاية الإفضال⁽²⁾، فأراد الله سبحانه أن يُكرِّم الخضر؛ فأثر التعبير بـ **﴿عِبَادِنَا﴾**، ليدل على كثرة عبادته لله وغاية خضوعه.

التعبير بالفعل الماضي **﴿عَاتَيْنَهُ﴾**:

إيتاء الرحمة
متحقق للخضر
بما يجعله
مرحوماً وراحماً

استعمل القرآن لفظ (الإيتاء) بصيغة الماضي **﴿عَاتَيْنَهُ﴾** في قوله تعالى: **﴿عَاتَيْنَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾**، مع أن عطاء النبوة والرحمة العامة مستمر للخضر؛ ليدل على أن إيتاء الخضر للنبوة والرحمة العامة قد تم وانتهى، وأنه لا رجعة فيه ولا تبديل ولا تغيير.

وهذا فيه زيادة اطمئنان لموسى ﷺ بأنه سيُسَلِّمَ لرجلٍ معصوم آتاه الله النبوة والرحمة، وهو متحقق بها، والمعنى: "أي: صار مرحوماً من قبلنا بتلك الرحمة التي خصصناه بها من عندنا، فيكون الخضر بتلك الرحمة مرحوماً، ويكون بها راحماً على عبادنا"⁽³⁾.

بلغة إسناد الفعل إلى ضمير العظمة في **﴿عَاتَيْنَهُ﴾**:

الرحمة من
العظيم لا تكون
إلا عظيمة

الضمير (نا) في قوله تعالى: **﴿عَاتَيْنَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾** يرجع إلى الله سبحانه، وقد جاء بصيغة الجمع **﴿عَاتَيْنَهُ﴾**؛ أي: آتيناه بعظمتنا؛ ليشعر بعظمة الله، ويُفيد التأكيد على أهمية المضمون، وهو عطاء الرحمة، وبيان عظمته وهي النبوة؛ فعطاء العظيم لا يكون إلا عظيماً.

(1) الزاغب، المفردات، ص: 543.

(2) الراغب، المفردات، ص: 542.

(3) القشيري، لطائف الإشارات: 2/ 407.

المُرَاد بلفظ ﴿رَحْمَةً﴾ وغرض تنكيرها:

المُرَاد بالرحمة في قوله تعالى: ﴿عَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ الوحي والنبوة كما يُشعرُ به تنكيرُ الرحمة لتعظيمها واختصاصها بجناب الكبرياء، ولكون الرحمة جاءت في القرآن في مواضع عديدة بمعنى النبوة، منها: قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: 32]، وقوله: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: 46]، وقوله: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ﴾ [القصص: 86].

من فضل
الله على
العبد الصالح
اختصاصه
برحمة الله
المُعَذَّة

معنى ﴿مِّنْ﴾ وسرُّ الإضافة في قوله ﴿عِندِنَا﴾:

﴿مِّنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿عَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ ابتدائية، و(عند) في حقيقته اسم مكان قريب، ويُستعمل مجازاً في اختصاص المضاف إليه بموصوفها، والمعنى: آتيناه رحمةً صدرت من مكان القُرب؛ أي: الشرف، وهو قُربٌ تشريفٍ بالانتساب إلى الله، وذلك أنَّ ما أُوتيه من الولاية أو النبوة رحمةٌ عزيزة، فكانها ممَّا يُدَّخر عند الله في مكان القُرب التشريفي من الله، فلا يُعطى إلا للمُصْطَفَيْنِ⁽¹⁾؛ أي إنها رحمةٌ ممَّا لم يجرِ على قوانين العادات، غير أنَّه ليس بمستغرب عند أهل الاصطفاء، وهذا يتوافق مع عادة القرآن في استعمال الرحمة مع العندية ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾؛ إذ هي خاصّة لا يستعملها إلا مع المؤمنين، كما في هذه الآية، وفي قوله كذلك في حق نوح ﷺ: ﴿وَعَاتَيْنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِي﴾ [هود: 28]، وقوله في حق أيوب: ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَكَّشْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَعَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَبِيدِ﴾ [الأنبياء: 84]، بخلاف قوله: ﴿رَحْمَةً مِّثًّا﴾ [يس: 44]؛ فهي عامّة يستعملها مع المؤمن والكافر، قال تعالى: ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾ [١٣] إِلَّا

في العندية
الإلهية قرب
تشريفٍ وتعظيمٍ
بالانتساب إلى
الله العظيم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 369 / 15.

رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ [يس: 43-44]، وقوله: ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ صَرَاءَ مَسْتَه لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [فصلت: 50].
وفي إضافة (عند) لضمير العظمة (نا) ﴿عِنْدِنَا﴾ إفادة تعظيم هذه الرحمة الصادرة من العظيم سبحانه.

سرُّ العطف بالواو في جملة ﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾:

عَطَفَ البَيَانُ القرآنيُّ قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ على قوله: ﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾؛ لأنه عطاءٌ آخر خَصَّ الله به الخَصِرَ ﷺ، فقد آتاه الله الرَّحْمَةَ (النَّبُوَّة) وعَلَّمه عِلْمَ الغيوب، وفي هذا العطف مزيدٌ تشريفٍ وتكريمٍ له، حيث أُوتِيَ العِلْمُ إضافةً إلى النَّبُوَّة؛ فاستحقَّ بذلك أَنْ يكون مُعَلِّمًا، وَأَنْ يطلبَ منه موسى ﷺ أَنْ يتَّبِعَهُ ليتعلَّم من هذا العلم الذي علَّمه الله إِيَّاه.

بلادة إسناد الفعل إلى ضمير العظمة في ﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾:

الضَّمير (نا) الذي جاء بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عَلِمًا﴾ يرجع إلى الله تعالى؛ ليشعر بعظمة الله؛ أي: علَّمناه بعظمتنا، بما يُفيد التأكيد على أهمية هذا المضمون؛ وهو اختصاصُ الخَصِرِ بعلمٍ غيبيٍّ لا يعلمه موسى، كما يُفيد المبالغة في التنبيه والاهتمام بهذا العلم وتعظيمه؛ إذ هو من العظيم سبحانه، وهذا فيه تعليلٌ لاتباع موسى له وتعلُّمه منه، وطمئنة لموسى حتى يُسَلِّمَ له مهما رأى من غرائب تخالف ظاهر الشرع.

معنى ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ في سياق الآية الكريمة:

﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عَلِمًا﴾ ابتدائيةٌ، و(لَدُنْ) حقيقته اسمُ مكانٍ قريبٍ، ويُستعملُ مجازًا في اختصاصِ المُضَافِ إليه بموصوفها، وإلا فالظرفيةُ الحقيقيةُ مستحيلةٌ في جانبِ البارِي تعالى⁽¹⁾.

(1) السَّمينُ الحلي، عُمدَةُ الحَقَاط: 20 / 4.

صفاتُ العبدِ
الصَّالحِ العالمِ
الَّذِي يستحقُّ
الاتباعَ

إسنادُ علمٍ
الخَصِرِ إلى
عظمةِ الله
مُشعرٌ بعظمةِ
العِلْمِ

ما أُعطيه الخَصِرُ
من العلمِ
الَّذِي لا يُعطى
إلا للمصطفين
الأخيار

والمعنى: علّمناه علماً صدرَ من مكانِ القُرب؛ أي: الشرف؛ وهو قُربٌ تشريفٍ بالانتسابِ إلى الله، وذلك أنّ ما أُعطيه من العلمِ اللدنيّ علماً عزيزاً، فكأنّه ممّا يُدخِر عند الله في مكانِ القُربِ التّشريفِ من الله فلا يُعطى إلّا للمُصطَفَيْن، إذ هو الإعلامُ بطريقِ الوحي⁽¹⁾.

وقد وردت كلمة ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ في القرآن في سبع عشرة آية؛ كلّها جاءت في سياقِ الرّحمة، واللّين، والهبة، والإيتاء، والعطاء الخاصّ.

سرّ (عند) مع الرّحمة و(لدن) مع العلم في الآية:

(عند) و(لدن) كلاهما حقيقته اسم مكان قريب، ويدلّ استعمالهما في قوله تعالى: ﴿عَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾، على قُرب تشريفٍ للخضرِ بالانتسابِ إلى الله، ولكنّ في استعمالِ (عند) مع إيتاء الرّحمة و(لدن) مع إعطاء العلم حِكْمٌ منها: أنّ (لدن) أقربُ من (عند)، تقول: عندي إبلٌ؛ لكن لا تقول: لدنّي إبلٌ، فالفرقُ بين (عند) و(لدن) هو في مسافة القُرب من المتكلّم، كما أنّ (لدن) يستدعي حضوراً⁽²⁾، وقال بعضهم: إنّ (عند) في لسان العرب لما ظهر، و(لدن) لما بطن، فيكون المراد بالرحمة ما ظهر من كراماته، وبالعلم الباطن الخفيّ المعلوم قطعاً بأنّه خاصّ⁽³⁾، ولهذا لما كان العلمُ المقصودُ هنا هو علمٌ لدنّيّ غيبيّ خاصٌّ بالله تعالى، وقد اختصّ به العبد الصالح دون موسى؛ إذ أوحاه إليه وعلمه إيّاه، عبّر معه بـ (لدن)، ولما كان العلمُ هذا أشرف الأشياء؛ أتى معه بالظرفِ الأخصّ تنبيهاً على شرفه⁽⁴⁾، ولهذه الخصوصية ذاتها قدّمه على المفعول به في الآية ﴿عِلْمًا﴾ خلافاً لأصلِ نظمِ الجملة.

العلمُ اللدنيّ
أشرفُ الأشياءِ
أتى معه بالظرفِ
الأخصّ تنبيهاً
على شرفه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 369 / 15.

(2) السمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ: 20 / 4.

(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 633 / 5.

(4) السمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ: 20 / 4.

بينما الرحمة في الآية سواء أكانت بمعنى النبوة أم الرحمة العامة؛ فإنها ليست خاصة بالخضر، بل يدخل فيها موسى وغيره من الأنبياء أو البشر.

ومن حَكَم المخالفة أيضًا بين ﴿مِنْ عِنْدَنَا﴾ وبين ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ التَّفَنُّنُ تَفَادِيًا من إعادة الكلمة⁽¹⁾.

سَرَّ تَقْدِيمِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ ﴿عِلْمًا﴾:

قَدَّمَ الْبَيَانُ الْإِلَهِيَّ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾؛ لِإِفَادَةِ الْاِخْتِصَاصِ، وَالْمَعْنَى: وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا لَا مِنْ لَدُنْ غَيْرِنَا عِلْمًا خَاصًّا، لَا يَتَيَسَّرُ إِلَّا مَنْ نَرِيدُ تَيْسِيرَهُ وَمَنْحَهُ لَهُ⁽²⁾؛ أَيْ: عِلْمًا "مِمَّا يَخْتَصُّ بِنَا، وَلَا يُعْلَمُ بِوَاسِطَةِ مُعَلِّمٍ مِنْ أَهْلِ الظَّاهِرِ"⁽³⁾، وَلِمُنَاسَبَةِ مَعْنَى (لَدُنْ) فِي اللُّغَةِ الَّتِي تَفِيدُ زِيَادَةَ الْقُرْبِ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا: الْقُرْبُ الْمَعْنَوِيُّ، وَلِزِيَادَةِ تَنْبِيهِهِ مُوسَى لِلْاهْتِمَامِ بِمَا يَحْمِلُهُ الْخَضِرُ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ.

الْمُرَادُ بِالْعِلْمِ وَغَرَضُ تَنْكِيرِهِ فِي قَوْلِهِ ﴿عِلْمًا﴾:

الْعِلْمُ مِنْ لَدُنِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ هُوَ الْإِعْلَامُ بِطَرِيقِ الْوَحْيِ، وَهُوَ الْعِلْمُ الْخَاصُّ الَّذِي لَا يُعْلَمُ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِ ﷺ؛ أَيْ: عِلْمُ الْإِخْبَارِ بِالْغُيُوبِ وَأَسْرَارِ الْعُلُومِ الْخَفِيَّةِ، فَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الْخَضِرَ ﷺ قَالَ: يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَّمَكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا أَعْلَمُهُ"⁽⁴⁾، وَأَفَادَ تَكْثِيرُ لَفْظَةِ الْعِلْمِ هُنَا تَعْظِيمَهُ وَتَفْخِيمَهُ؛ لِأَنَّهُ عِلْمٌ لَدُنِّي.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 369 / 15.

(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 551 / 8.

(3) الصَّاوِي، حَاشِيَةُ الصَّاوِي عَلَى تَفْسِيرِ الْجَلَالِين، ص: 1114، وَابْنُ عَادِلٍ، الْبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ: 529 / 12.

(4) الْبَخَارِيُّ، صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ، كِتَابُ: التَّفْسِيرِ، بَابُ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْلِهِ لَا أُتْرَحُ حَتَّى أَتْلُغَ جَمْعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ [الكهف: 60]، رَقْمُ 4448.

فِي التَّقْدِيمِ بَيَانٌ
لَاخْتِصَاصِ هَذَا
الْعِلْمِ بِاللَّهِ؛
فَلَا يَتَيَسَّرُ إِلَّا لِمَنْ
مَنْحُهُ إِيَّاهُ

الْعِلْمُ اللَّدْنِيُّ لَا
يَدْرِكُ كُنْهَهُ إِلَّا
مَنْ فَتَحَ اللَّهُ بِهِ
عَلَيْهِ

فائدة الجناس في ﴿وَعَلَّمْنَهُ﴾ و﴿عِلْمًا﴾:

بين اللفظين ﴿وَعَلَّمْنَهُ﴾ و﴿عِلْمًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ جناسٌ اشتقاق؛ إذ يرجع اللفظان إلى جذر لغويٍّ واحدٍ هو (علم)، إلا أن ﴿وَعَلَّمْنَهُ﴾ أتى فعلاً بصيغة الماضي، و﴿عِلْمًا﴾ أتى اسماً، ممّا يعطي جماليةً في السمع، ويحققُ عذوبةً وترنماً يحملُ السامعَ على الإصغاء، ويزيدُ المعنى وضوحاً، ويساعدُ على ترسُّخه في الذهن، ويؤكدُ على أهميّة العلم الذي وهبه الله للخضر واختصه به، وأنه علمٌ عظيم؛ إذ هو العلم اللدنيّ.

التأكيد على
عظم العلم
الذي وهبه الله
للخضر واختصه
به

سرّ تقديم (الرحمة) على (العلم):

قدّم البيانُ القرآنيُّ الرحمةَ على العلم في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾، ولم يقل: (علمناه من لدنّا علماً وآتيناها رحمةً من عندنا)؛ اهتماماً بالمقدّم وهو الرحمة؛ إذ لا قيمة للعلم بدون الرحمة؛ لأنّه سيكونُ وبالاً على صاحبه وعلى الآخرين، ولأنّ أحدَ أسباب طلب العلم هو رحمة الإنسان بنفسه من أن يتركها فريسةً للجهل والشيطان، ورحمته بالآخرين من أن يتركهم للجهل والضعف.

تكامل النبوة
والرحمة
ضروريّ لإبراز
العلم من لدن
الله لصفوة
البشر

واحتراساً لما يأتي من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾، وقتل الخضر للغلام يوهّم اتّصافه بالغلظة والجفاء وعدم الرحمة، فاحترس من ذلك بأنّه متّصف بكمال الرحمة، وما فعل ذلك إلا بأمرٍ من الله، إمّا بوحى إن كان نبياً على لسان الملك، أو بأنّها أمرٌ من الله تعالى إن كان وليّاً⁽¹⁾.

وأيضاً إذا كان المقصود بالرحمة التي أتيها النبوة ففي تقديمها إشارةً إلى أنّ النبوة اصطفاؤه من الله وليست كسبئية نتيجة العلم،

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 95/3.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ

تَعْلَمُ﴾ [النساء: 113].

سُرُّ التَّعْبِيرِ بِالْإِنْتَاءِ مَعَ الرَّحْمَةِ، وَبِالْعِلْمِ مَعَ الْعِلْمِ:

عبر البيانُ القرآنيُّ بالإنتاء في جانب الرَّحْمَةِ فقال: ﴿عَاتَيْنَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾، وبالعلم في جانب العلم فقال: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنَ لَّدُنَّا عِلْمًا﴾؛ لأنَّ النَّبُوَّةَ - على تفسير الرَّحْمَةِ بها - اصطفاؤه من الله وليست كسبيَّة نتيجة العلم، ولا يد للبشر فيها، وإنما هي محض تفضُّل من الله سبحانه، ولا تتوقَّف على قبول النَّبِيِّ لها، وهذا يناسب لفظ الإنتاء لغة؛ فإنَّه لا مطاوع له، فهو لا يتوقَّف على قبول (1)، بينما العلم يناسبه لفظُ التعلُّم؛ لأنَّ العلمَ يحتاجُ إلى مُعلِّم، وله مطاوع، يُقال: علَّمته فتعلَّم، ويحتاجُ إلى سعي وتعلُّم، ولذلك حضَّ الشارعُ على العلم؛ ولم يحضَّ على النَّبُوَّة، قال ﷺ: "وإنما العلم بالتعلُّم" (2).

سُرُّ فَصْلِ جَمَلَةٍ ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى﴾:

فَصَلَ البيانُ الإلهيُّ بين قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى﴾ وقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنَ لَّدُنَّا عِلْمًا﴾، ولم يأتِ بالعاطف؛ لما بينهما من شبه كمال اتِّصال؛ إذ إنَّ قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى﴾ استئنافٌ مبنيٌّ على سؤالٍ نشأ من السِّياق؛ وذلك أنَّه بعد أن ارتدَّ موسى والفتى على آثارهما قصصًا، ووجدوا العبد الصالح كأنَّه قيل: فماذا جرى بينهما من الكلام؟ فقيل: قال له موسى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي﴾ (3).

ولكون الآية جارية على طريقة المُحَاوَرَاتِ، وهي ابتداءُ محاورَةٍ (4)؛ أيَّ إنَّ قولَ موسى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ ابتداءُ حوارٍ مع الخضر ﷺ، الذي أجابه بقوله: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، ولذا لم يعطف

(1) الزَّيْدِي، تاج العروس: (أتى).

(2) أخرجه البخاري مُعْتَمِدًا بِصِيغَةِ الْجَزْمِ قَبْلَ حَدِيثِ (68) كِتَابِ الْعِلْمِ، بَابِ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 234 / 5.

(4) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 369 / 15.

النَّبُوَّةُ اصْطِفَاءٌ
وَمَحْضُ تَفَضُّلٍ
مِّنَ اللَّهِ،
وَالْعِلْمُ تَعَلُّمٌ
وَمِرَاسٌ

الاسْتِنْفَاقُ
الْبَيَانِيَّ يَحْمَلُ
طَلَبَ مُوسَى
اتِّبَاعَ الْخَضِرِ

بالفاء أو الواو؛ كراهية تكرير العاطف بتكرير أفعال القول، فإن المحاورة تقتضي الإعادة في الغالب⁽¹⁾.

إيجاز الحذف في جملة ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى﴾:

في الكلام محذوف تقديره: (فَلَمَّا التَّقْيَا وَتَرَجَعَا الْكَلَامَ) ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾⁽²⁾، وهذا الحذف للإيجاز الذي تتميز به القصة القرآنية في عدم ذكر التفصيلات إلا لفائدة؛ وذلك للتركيز على المشاهد البارزة في القصة، وترك ما بينهما من فجوات تدل عليها روابط بدهية؛ لِيُفَسِّحَ المجال للخيال حتى يملأها بما يعطي قيمة جمالية للقصة كانت ستضعف لو شغل الذهن بعرض تلك الفجوات⁽³⁾.

فائدة التعبير بالفعل الماضي ﴿قَالَ﴾:

التعبير بالفعل الماضي ﴿قَالَ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾؛ للدلالة على أن فعل القول المتضمن طلب الاتباع قد وقع من موسى؛ إذ هو حكاية عن أحداث مضت، وللاشارة إلى أن هذا القول ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ لم يتكرر من موسى، ولمناسبة صيغة الفعل الماضي التي تكررت في السياق: ﴿قَالَ لِفَتْنُهُ﴾ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ﴾.

معنى اللام ومرجع الضمير في قوله ﴿لَهُ﴾:

اللام في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى﴾ لام التبليغ، لكونها جارة لاسم السامع، وهي هنا ضمير يعود على العبد الصالح، ويتم بها تعديّة فعل القول إلى المخاطب بالقول؛ أي: بلغ موسى الخضر بأنه يريد اتّباعه ليتعلم منه ممّا علّم رُشدًا.

وفي التعبير بالضمير وعدم التصريح باسم العبد الصالح

قيمة جمالية
سرد القصة
بالتركيز على
المشاهد البارزة
فيها

القول حدث في
الزمن الماضي
ولم يتكرر

في اللام تبليغ
موسى للخضر
بإرادة اتّباعه
طلبًا لعلمه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 401/1.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 205/7.

(3) البغا، الواضح في علوم القرآن، ص: 195.

اختصاراً في الكلام؛ إذ قد سبق ذكره في الآية السابقة ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾؛ وتقخيمُ لشأن الخضر.

سرّ تقديم الجارّ والمجرور ﴿لَهُ﴾ في السياق:

قدّم البيان الإلهي الجارّ والمجرور ﴿لَهُ﴾ على الفاعل، فقال: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى﴾، ولم يقل: (قال موسى له)؛ اهتماماً بالمقدم (وهو العبد الصالح)؛ إذ التركيز في سياق الكلام عليه؛ لأنه سيكون معلماً لرسولٍ من أولي العزم، ولإفادة الاختصاص؛ أي: حصّ موسى الخضر دون غيره بطلب أتباعه للتعلّم منه.

المُرَاد بالاستفهام من قوله ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾:

الاستفهام في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي﴾ مُسْتَعْمَلٌ فِي الْعَرَضِ؛ بَقَرِينَةٍ أَنَّهُ اسْتِفْهَامٌ عَنْ عَمَلِ نَفْسِ الْمُسْتَفْهِمِ⁽¹⁾، وهو بذلك سَوَالٌ تَلَطُّفٍ، لا على وجه الإلزام والإجبار، وإنما استئذانٌ منه في اتّباعه له على وجه التعلّم⁽²⁾، وهكذا ينبغي أَنْ يكون سؤالُ الْمُتَعَلِّمِ مِنَ الْعَالَمِ⁽³⁾، وفيه دلالة على مبالغة عظيمة في تواضع موسى ﷺ؛ إذ إنّه استأذَنَ في إثباتِ التَّبَعِيَّةِ لِلْخَضِرِ؛ فكأنّه قال: هل تَأْذِنُ لِي أَنْ أَجْعَلَ نَفْسِي تَبَعًا لَكَ؟⁽⁴⁾، ولم يُرَدِّ أَنْ يَظْهَرَ بِمَظْهَرِ الْمُقْحَمِ لِنَفْسِهِ الْمُتَهَجِّمِ بِهَا⁽⁵⁾، وهذا هو اللاتِّقُّ به؛ لأنَّ كُلَّ مَنْ كَانَتْ إِحَاطَتُهُ بِالْعُلُومِ أَكْثَرَ كَانَ عِلْمُهُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْبَهْجَةِ وَالسَّعَادَةِ أَكْثَرَ، فكان طلبه لها أشدَّ، وكان تعظيمه لأربابِ العلمِ أكملَ وأشدَّ⁽⁶⁾، وإذا كان هذا حالُ موسى ﷺ - وهو من أولي العزم الذي كلّمه الله ﷻ من غير واسطةٍ وخصّه بالمعجزات القاهرة الباهرة - فكيف يكون حالُ عمومِ الناس؟!

اهتمام موسى
بالعبد الصالح
لأنّه سيتّبعه
ليتعلم منه

الاستفهام بيان
إرادة الاتّباع في
أبلغ أدبٍ ولطفٍ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 369 / 15.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 234 / 5.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 94 / 3.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 483 / 21.

(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4559 / 9.

(6) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 484 / 21.

بلادة استعمال لفظ الاتّباع في «اتَّبِعْكَ»:

عبر البيان القرآني بالفعل «اتَّبِعْكَ» في قوله تعالى: «اتَّبِعْكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ»، ولم يُقَلْ: (هل أصحبك)، وإن كان الاتّباع هنا مجازاً في المصاحبة⁽¹⁾؛ لمناسبة لفظ الاتّباع للسياق والمقام؛ إذ أصل مادة (تبع) في اللغة التَّلُوُّ والقَفُوُّ⁽²⁾، وتَبَعَ القومُ: مشى خلفهم، وتَبَعَ فلاناً: لحقه، أو تلاه، وسارَ في إثره واقتفاهُ⁽³⁾، وهذا يناسب سياق الآيات التي وعدَ فيها موسى أَنْ يَتَّبِعَ الْخَضِرَ ولا يعصي له أمراً، قال تعالى: «سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا»، ويناسبُ المقام؛ فالرحلةُ كُلُّها بما تضمّنته من حرصِ موسى على لقاءِ الْخَضِرِ ولو سارَ أزمانه كثيرة، ومن بحثه وجهده وتعبه وسرعة ارتداده لما ظهرت له أمانة اللقاء هي رحلة متابعة من موسى للْخَضِرِ طلباً لعلمه؛ لأنَّ "مَنْ يَتَعَلَّمُ مِنْ آخِرِ عِلْمًا فَإِنَّهُ يَتَّبِعُهُ حَيْثُ يَذْهَبُ هُوَ فِي حَوَائِجِهِ، لَا يُؤْمَرُ بِالْمَقَامِ حَيْثُ يُقِيمُ الْمُتَعَلِّمُ"⁽⁴⁾.

ولما في هذا التعبير من مراعاةٍ لِلطُّفِّ والأدبِ والتَّواضعِ من موسى ﷺ؛ بأنَّ جعلَ نفسه تبعاً للْخَضِرِ⁽⁵⁾، ومن دلالةٍ على شِدَّةِ حرصِ موسى على التَّعَلُّمِ، أو المبالغة في الاتّباع والاجتهاد؛ لأنَّ المتابعة عبارة عن الإتيانِ بِمَثَلِ فِعْلٍ الْغَيْرِ لمجرد كونه آتياً به، والمعنى: اتَّبِعْكَ اتِّبَاعاً بليغاً حيث توجَّهتَ⁽⁶⁾، وهذا يدلُّ على أَنَّ الْمُتَعَلِّمَ يَجِبُ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ التَّسْلِيمُ لِلْمُعَلِّمِ وترك المنازعة والاعتراض⁽⁷⁾، وعلى هذا فالاتّباع مجازٌ عن الطَّاعة على سبيل الاستعارة التَّصْرِيحِيَّةِ بجوامع الملازمة.

المتعلّم تبع
للعالم وإن
تفاوتت المراتب

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 369 / 15.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (تبع).

(3) الجوهري، الصحاح، ومعجم اللغة العربية للعاصرة: (تبع).

(4) اللأثيردي، تأويلات أهل السُّنَّة: 195 / 7.

(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 483 / 21.

(6) البقاعي، نظم الدرر: 107 / 12.

(7) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 483 / 21.

معنى حرف الجرّ ﴿عَلَى﴾ في السياق:

إبرارُ رغبةِ موسى
في التَّمَكُّنِ من
اتِّبَاعِ الْخَضِرِ
للتَّعَلُّمِ

﴿عَلَى﴾ في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ﴾ مُسْتَعْمَلَةٌ في معنى الاشتراط؛ لأنَّه استِعْلَاءٌ مَجَازِيٌّ، جعل الاتِّبَاعَ كأنَّه مُسْتَعْمَلٌ فوق التَّعْلِيمِ؛ لَشِدَّةِ الْمَقَارَنَةِ بَيْنَهُمَا، فَصِيغَةُ: أَفْعَلُ كَذَا عَلَى كَذَا، من صِيغِ الْإِلْتِزَامِ وَالتَّعَاقُدِ⁽¹⁾، وهذا يدلُّ على أھمیة المتابعة وإلزام النفس بها؛ إذ بدونها لا يُسْتَفَادُ من العلم، وفيه أيضًا إشارة إلى أنَّ حقَّ المَعلِّمِ على المتعلِّم اتِّبَاعُهُ والاقْتِدَاءُ بِهِ⁽²⁾، ويؤخَذُ من الآية جوازُ التعاقد على تعليم القرآن والعلم، وفيه أنَّه التَّزَامُ يُجِبُّ الْوَفَاءَ بِهِ⁽³⁾.

نكتة تقديم إثبات الاتِّبَاعِ على طلب التَّعْلِيمِ:

أھمیة المتابعة
للمُنِيفَةِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ
يَتَرَقَّى فِي دَرَجَاتِ
الْعِلْمِ الشَّرِيفَةِ

قدَّم البيانُ القرآنيُّ إثباتَ الاتِّبَاعِ على طلبِ التَّعْلِيمِ في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ﴾، ولم يَقُلْ: (هل تُعَلِّمَنِي عَلَى أَنْ أَتَبِعَكَ؟)؛ أي بدأ موسى بطلبِ أَنْ يَكُونَ تَبِعًا لِلْخَضِرِ أَوَّلًا، ثم طلبَ ثانيًا أَنْ يُعَلِّمَهُ⁽⁴⁾، لأنَّ المتابعةَ هي من مُقَدِّمَاتِ السُّلُوكِ في طريق العلم، وأحدِ أسبابِ تحصيله، وفي ذلك إشارة إلى أھمیة المتابعة والملازمة والثباتِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَرَقَّى فِي دَرَجَاتِ الْعِلْمِ.

سِرُّ مجيء ﴿أَنْ﴾ في قوله ﴿أَنْ تُعَلِّمَنِ﴾:

إذا كان الغرضُ
من المتابعةِ
الْعِلْمَ وَحْدَهُ
كَانَ النِّفْعُ
حَاصِلًا وَأَكِيدًا

﴿أَنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ﴾ حرفٌ مصدرِيٌّ يُفِيدُ التَّوَكِيدَ؛ وَالْمَصْدَرُ الْمُؤَوَّلُ فِي مَحَلِّ جَرِّ بـ ﴿عَلَى﴾، تقديره: "تعليمي"، والمعنى: هل أَتَبِعَكَ على شرطِ تعليمي ممَّا عُلِّمْتَ رَشْدًا؟ أي: ليس له غرضٌ آخر غيرَ طلبِ الْعِلْمِ، وفي هذا دلالةٌ على صدقِ طلبه وإخلاصه فيه؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَطْلُبْ فِي تِلْكَ الْمَتَابَعَةِ شَيْئًا سِوَى التَّعْلِيمِ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَا أَطْلُبُ مِنْكَ عَلَى هَذِهِ الْمَتَابَعَةِ الْمَالَ وَالْجَاهَ، وَلَا غَرَضَ

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 370 / 15.

(2) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 370 / 15.

(3) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 370 / 15.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 484 / 21.

لي إلا طلب العلم⁽¹⁾، وكذلك للإشارة إلى تواضع موسى في طلبه؛ بأن طلب مجرد حدوث العلم لا أن يأخذ عين علمه؛ لأن الأصل في مصدر ﴿أَنْ﴾ أن يكون لإرادة مجرد الحدث وهو التعلم هنا، وليس حدثاً مخصوصاً كما يفيد مصدر (ما).

معنى ﴿مِمَّا﴾ وبيان تركيبها في السياق:

تركيب ﴿مِمَّا﴾ هو: مِنْ مَا، و(من) إمّا ابتدائية⁽²⁾؛ والمعنى: تُعَلِّمَنِي من المعلوم ذي الرشد الذي علّمه الله، أو: للتبويض؛ والمعنى: أن موسى ﷺ طلب من الخضر تعليمه بعض ما علّمه الله، وهذا مُشعرٌ بالتواضع؛ كأنه يقول له: لا أطلب منك أن تجعلني مُساوياً لك في العلم، ولذا لم يقل: (على أن تُعَلِّمَنِي ما علّمت)؛ بل أطلب منك أن تُعطيني جزءاً من أجزاء علمك، كما يطلب الفقير من الغني أن يدفع إليه جزءاً من أجزاء ماله⁽³⁾.

وفيهما كذلك زيادة تلطف موسى ﷺ في سؤاله بالإشارة إلى أنه لا يطلب جميع ما عنده ليطول عليه الزمان؛ بل طلب جوامع منه يسترشد بها إلى باقيه⁽⁴⁾.

وأما (ما) فهي اسم موصول بمعنى (الذي)، يدل على العلم الذي علّمه الله للخضر وخصّه به، وفي هذا دلالة على أن موسى طلب منه أن يعامله بمثل ما عامله الله به، وأن يكون إنعامه عليه عند هذا التعليم شبيهاً بإنعام الله تعالى على الخضر في هذا التعليم⁽⁵⁾، كقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: 77].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21 / 484، والضاوي، حاشية الضاوي على تفسير الجلالين، ص: 115.

(2) القنوي وابن التّمجد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 12 / 128.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21 / 483.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 12 / 108.

(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21 / 483.

طلب موسى
الأخذ عن
الخضر مُشعرٌ
بالتواضع
والتلطف في
السؤال

الاهتمام بالعلم
الذي خُصَّ به
الخضر وتفخيم
شأنه

من كمال أدب
موسى نسبة
العلم إلى
صاحب العلم
الطلق

في تعدد إعراب
اللفظ ثراءً في
المعنى وتلون في
الدلالة

سرّ تقديم الجارّ والمجرور ﴿مِمَّا﴾ على ﴿رُشْدًا﴾:

قدّم البيان القرآنيّ الجارّ والمجرور ﴿مِمَّا﴾ على المفعول الثاني ﴿تُعَلِّمَنِ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلِّمْتَ رُشْدًا﴾، ولم يقل: (تعلمن رشداً ممّا علّمت)؛ لمزيد اهتمام موسى بهذا العلم الذي علّمه الله للخضر والعناية به، وتفخيم شأنه؛ لأنّ موسى ﷺ حريص على هذا العلم، ويعلم أنّه سيكون رُشداً.

سرّ بناء الفعل ﴿عَلِّمْتَ﴾ للمفعول:

عبّر البيان الإلهي بصيغة المبني للمفعول ﴿عَلِّمْتَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلِّمْتَ رُشْدًا﴾، ولم يقل: (ممّا علّمت)؛ لأنّ الفاعل معلوم وهو الله سبحانه⁽¹⁾؛ إذ لا أحد يملك هذا العلم إلا هو عالم الغيب والشهادة ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: 65]، وهذا يشير إلى سهولة كلّ أمرٍ على الله ﷻ⁽²⁾، ولأنّ المجهول في اللفظ معلوم في الحقيقة، فقد سبق قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾⁽³⁾، كما أنّ في هذا التعبير زيادة أدب مع الله سبحانه، باعتراف وإقرار موسى ﷺ بأنّ الله هو صاحب هذا العلم الغيبي، وأنّه هو الذي علّمه للخضر⁽⁴⁾، فأدب موسى ﷺ مع مَنْ يتعلّم منه لم يُنسه أدبه مع الله سبحانه.

المراد بـ ﴿رُشْدًا﴾ وإعرابها:

يحتمل أنّ يكون الرُشد راجعاً إلى الخضر؛ والمعنى: أيّ ممّا علّمك الله وأرشدك به، أو أنّ يرجع ذلك إلى موسى، ويكون المعنى على أنّ تعلّمني وترشدني ممّا علّمت⁽⁵⁾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 108 / 12.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 108 / 12.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9 / 4559.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21 / 483.

(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21 / 483.

وإعرابُ ﴿رُشْدًا﴾: إمَّا مفعولٌ به لـ ﴿تُعَلِّمَنِ﴾، أو علةٌ لـ (تَبْعُكَ)؛ أي: مفعولٌ لأجله؛ أي: لأجلِ الرُّشادِ، أو مصدرٌ بإضمارِ فعله في موضعٍ نصبٍ على الحال⁽¹⁾.

وهذا العلمُ الذي سألَ موسى تعلُّمه هو من العلمِ النافعِ الذي لا يتعلَّقُ بالتَّشريعِ للأُمَّةِ الإسرائيليَّةِ، فإنَّ موسى مُستغْنٍ في علمِ التَّشريعِ عن الازديادِ إلَّا من وحيِ الله إليه مباشرةً، والله أرسله لذلك، وإنَّما رامَ موسى أن يعلمَ شيئاً من العلمِ الذي خصَّ الله به الخَضِرُ؛ لأنَّ الازديادَ من العلومِ النافعةِ هو مِنَ الخيرِ، وهذا العلمُ الذي أوتيهِ الخَضِرُ هو علمٌ سياسيٌّ خاصَّةٌ غيرِ عامَّةٍ تتعلَّقُ بمُعَيَّنَيْنِ لجلبِ مصلحةٍ أو دفعِ مفسدةٍ بحسبِ ما تهيَّئهُ الحوادثُ والأكوانُ، لا بحسبِ ما يُناسِبُ المصلحةَ العامَّةَ والتَّشريعَ⁽²⁾.

سرُّ التعبيرِ والتَّنكيرِ للفظِ ﴿رُشْدًا﴾:

عبرَ البيانُ القرآنيُّ بلفظِ ﴿رُشْدًا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ دون غيره، فلم يَقُلْ مثلاً: (مِمَّا عُلِّمْتَ علماً أو هُدىً)؛ لكونه أوسعَ دلالةً من الهدى؛ فهو ليس مُجَرَّدَ هدايةٍ؛ إنَّما هو هدايةٌ واستقامة⁽³⁾، وثبَّتْ على الطَّريقِ الحقِّ مع تصلُّبٍ فيه⁽⁴⁾، يُقال: الرُّشْدُ والرَّشْدُ والرُّشادُ: الهدايةُ والاستقامةُ؛ أي: فالرُّشْدُ هدايةٌ إلى الطريقِ الأسَدِّ الصحيحِ الصائبِ الأقصدِ، لا مطلقِ الهدايةِ إلى طريقٍ ما، أمَّا الهدايةُ في أصلها فهي الدلالةُ المطلقة⁽⁵⁾. ولكونه أنسبُ للمقام؛ سواء لحالِ موسى ﷺ؛ فهو لم يطلبْ مُجَرَّدَ البيانِ والدَّلالةِ على الحقِّ، الذي هو معنى الهداية في اللغة⁽⁶⁾؛

العلمُ المطلوب
هو علمُ الهدايةِ
إلى الطَّريقِ
الأسَدِّ لا مطلقِ
الهدايةِ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 234 / 5، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 631 / 5.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 371 / 15.

(3) السمين الحلبي، عمدة الحُفَّاظ: 93 / 2.

(4) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدي، تاج العروس: (رشد).

(5) جبل، المعجم الاشتقاقي للوُضَل: (رشد).

(6) الأزهرى، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدي، تاج العروس: (هدى).

وإنما طلب إصابة عين الصواب، والصَّلاح في الأمر، وكونه على الوجه الصحيح، والاستقامة على الطريقِ الحقِّ، وهذه هي المعاني اللّغويّة للرُّشد⁽¹⁾، أو سواء للعلم الذي سيتعلّمه؛ وهو العلم الدلّنيّ المختصّ بعلم حقائق الأشياء وبواطنها.

وجاء التعبير بلفظ «رُشداً» نكرة ليشمل العلم وثمرته ومقصده الصحيح، وفي هذا إشارة إلى أنّ العلم النافع هو العلم المرشد إلى الخير؛ فكلّ علم يكون فيه رُشدٌ وهدايةً لطريق الخير، وتحذيرٌ عن طريق الشرِّ أو وسيلة لذلك؛ فإنّه من العلم النافع، وما سوى ذلك فإنّما أنّ يكون ضارّاً، أو ليس فيه فائدة⁽²⁾؛ أيّ لو لم يحصل له في العلم الهداية والإرشاد لكان في الغواية والضلال⁽³⁾، وأفاد تنكير الرُّشدِ التّعظيم والتّفخيم لشأنه.

توجيه القراءات الواردة في قوله «رُشداً»:

قرأ أبو عمرو ويعقوب: «رُشداً» بفتح الرّاء والشّين، والباقون «رُشداً» بضم الرّاء وتسكين الشّين⁽⁴⁾، وجمهور أهل اللّغة على أنّهما لغتان في معنى واحد، كالْبُخْلِ والبَخْلِ، والسُّقْمِ والسَّقَمِ⁽⁵⁾، والرُّشد والرَّشد: خلاف الغيِّ، ونقيض الضلال⁽⁶⁾.

قال ابن الجزري: "ويرى الإمام أبو عمرو ابن العلاء أنّ الرُّشد بالضمّ هو الصّلاح، والرَّشد بالفتح هو العلم، وموسى ﷺ إنّما طلب من الخضر ﷺ العلم، وهذا في غاية الحُسن، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَدْنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: 6] كَيْفَ أَجْمَعَ عَلَى ضَمِّهِ؟

(1) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (رشد) وجبل، للعجم الاشتقاقي المؤلّ: (رشد).

(2) السّعدى، تيسير الكريم الرحمن، ص: 484.

(3) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21 / 483.

(4) ابن الجزري، التّشريح، ص: 2441 / 4.

(5) ابن جرّيّ، التّسهيل: 1 / 471.

(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رشد).

التّسكينُ لمناسبة
السّياقِ القريبِ،
والفتحُ إلحاقاً
بالنّظيرِ

وقوله ﴿وَهَيَّيْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝﴾ [الكهف: 10] و﴿لَأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ۝﴾ [الكهف: 24] كيف أجمع على فتحه؟ ويرى ابن الجزري أنّ قراءة الفتح ﴿رَشَدًا﴾ جاءت لمناسبة رؤوس الآي وموازنتها لما قبلُ ولما بعدُ، نحو: ﴿عَجَبًا﴾، ﴿عَدَدًا﴾، ﴿أَحَدًا﴾، ﴿سَرَبًا﴾، ﴿سَبَبًا﴾، وأنّ قراءة ضمّ الرّاء وتسكين الشّين ﴿رُشَدًا﴾ جاءت لمناسبة ما وقع قبلها وبعدها من: ﴿عِلْمًا﴾، ﴿صَبْرًا﴾، ﴿خُبْرًا﴾، ﴿أَمْرًا﴾: أيّ: مَنْ سَكَنَ فلمناسبة السّياق، وَمَنْ فَتَحَ فَالْحَاقًا بِالنَّظِيرِ⁽¹⁾.

❖ الفُروقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

العبد والرّجل:

هناك فرقٌ بين العبدِ والرّجل؛ إذ بينهما عمومٌ وخصوص، فالعبدُ عامٌّ والرّجلُ خاصٌّ، فكلُّ رجلٍ هو عبدٌ من عباد الله، ولكن ليس كلُّ عبدٍ رجلًا، وإيضاح ذلك:

أصلُ (عبد) يَدُلُّ على لِينٍ وَذَلٍّ، ومنه طريقُ مُعَبَّدٍ، وهو الْمَسْلُوكُ الْمَذَلُّ⁽²⁾، وعَرَفَ اللّغَوِيُّونَ الْعَبْدَ بِأَنَّهُ الْإِنْسَانُ، حُرًّا كَانَ أَوْ رَقِيقًا، يَذْهَبُ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ مَرْبُوبٌ لِبَارِيهِ ﷻ، والعبدُ يُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الْمَمْلُوكِ، وهو خِلافُ الْحُرِّ، والجمعُ (عبيد)، وأصلُ الْعُبُودِيَّةِ الْخُضُوعُ وَالذَّلُّ⁽³⁾.

والرّجلُ خِلافُ الْمَرْأَةِ، وهو مُخْتَصٌّ بِالذَّكْرِ مِنْ بَنِي آدَمَ⁽⁴⁾، وَلَا يُسَمَّى الْإِنْسَانُ رَجُلًا إِلَّا إِذَا احْتَلَمَ وَشَبَّ⁽⁵⁾، وقد يكونُ الرّجلُ صِفَةً، يَعْنِي بِهِ الشَّدَّةُ وَالْكَمَالُ⁽⁶⁾، وقيل: إِنَّهُ اسْمٌ مَأْخُوذٌ مِنَ الْقُوَّةِ، ولهذا يُقَالُ فِي مَدْحِ الْإِنْسَانِ إِنَّهُ رَجُلٌ⁽⁷⁾.

كلُّ رجلٍ هو عبدٌ
من عبادِ الله،
وليس كلُّ عبدٍ
رجلًا

(1) ابن الجزري، النّشر، تج: سويد: 2442/4.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عبد).

(3) ابن منظور، لسان العرب، والرّبيديّ، تاج العروس: (عبد).

(4) الجوهريّ، الصّحاح، والرّبيديّ، تاج العروس: (رجل).

(5) الفبروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 41/3.

(6) ابن سيده، المحكم: (رجل).

(7) ابن الجوزي، نزهة الأعيُن التّواظر، ص: 326.

الرَّحْمَةُ وَالشَّفَقَةُ:

الرَّحْمَةُ عَطْفٌ
ورأفة وإحسانٌ
ومَغْفِرَةٌ،
والشَّفَقَةُ رِقَّةٌ
وعنايةٌ ونُصْحٌ
مع خوفٍ وحُبٍّ

يتقارب لفظا (الرَّحْمَةُ) و(الشَّفَقَةُ) في دلالتهما اللغويَّة؛ إذ يشتركان في معنى الرِّقَّة، وقد يُستعمل أحدهما موضع الآخر، ومع هذا التقارب فإنَّ لكلَّ لفظٍ ما يميِّزه، ويتَّضح ذلك من خلال الآتي:

أصلُ (رحم) يدلُّ على الرِّقَّة والعطفِ والرأفة⁽¹⁾، والرَّحْمَةُ في بَنِي آدَمَ رِقَّةُ الْقَلْبِ وَعَطْفُهُ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ عَطْفُهُ وَإِحْسَانُهُ وَرِزْقُهُ، والرَّحْمَةُ الْمَغْفِرَةُ⁽²⁾.

وأصلُ (شفق) يدلُّ على رِقَّةٍ في الشَّيْءِ⁽³⁾، والشَّفَقَةُ: رِقَّةٌ مِنْ نُصْحٍ أَوْ حُبٍّ يُوْدِي إِلَى خَوْفٍ، تقولُ: أَنَا مُشْفِقٌ عَلَيْكَ أَيَّ أَخَافُ، وَأَشْفَقُ عَلَيْهِ: حَذَرْتُ، وَأَشْفَقُ مِنْهُ: جَزَعْتُ⁽⁴⁾، وليَّ عليه شفقة: أي رحمة ورقَّة وخوف من حلول المكروه به مع نصح⁽⁵⁾، فالإشفاقُ عِنايةٌ مَخْتَلِطَةٌ بِخَوْفٍ؛ لَأَنَّ الْمُشْفِقَ يُحِبُّ الْمُشْفَقَ عَلَيْهِ، ويخافُ ما يلحقه⁽⁶⁾.

إذن، تتميزُّ الرحمةُ بمعنى الرِقَّة والعطفِ والرأفة والإحسان والإنعام والمغفرة للمرحوم، بينما تتميزُّ الشفقةُ بمعنى الرِقَّة والعناية المختلطة بالخوف والنصح، ودافعه حبُّ المُشْفَقِ للمُشْفِقِ عليه.

الرَّشْدُ وَالْهُدَى:

الرَّشْدُ صِلَاحُ
الأمرِ والهدايةِ
إلى الطَّريقِ
المستقيمِ،
والهدى بيانٌ
ودلالةٌ بلطفٍ
على المطلوبِ

يوجدُ تقاربٌ كبيرٌ بين لفظي (الرَّشْدُ) و(الهدى)، ويُستعمل أحدهما استعمالَ الآخر⁽⁷⁾، ويُعرَّف أحدهما بالآخر، ومع هذا التقارب توجد بعض الملامح الدلالية التي يتميَّز بها كلُّ منهما عن الآخر، وذلك على النحو الآتي:

- (1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رحم).
- (2) ابن منظور، لسان العرب: (رحم).
- (3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شفق).
- (4) ابن منظور، لسان العرب: (شفق).
- (5) الرَّمْخَشَرِيُّ، أساس البلاغة: (شفق).
- (6) الراغب، المفردات: (شفق).
- (7) الراغب، المفردات، ص: 354.

الرُّشْد: أصل (رشد) يدلّ على استقامة الطريق، والرُّشْدُ والرَّشْدُ: خلافُ الغيِّ⁽¹⁾، وهو نقيضُ الضَّلال، وأَرَشَدَهُ اللهُ إلى الأمر: هداؤه، والرُّشْدُ هو صلاحُ الأمرِ وكونه على الوجه الصحيح، وهو استقامةٌ على الطريق الحقّ مع تصلُّبٍ فيه⁽²⁾، فهو إصابةُ الصَّواب⁽³⁾، وقيل: الرُّشْد والرَّشْد والرَّشَاد: الهدايةُ والاستقامة⁽⁴⁾.

والهدى خلافُ الضَّلالة، وأصله هو التَّقَدُّمُ للإرشاد⁽⁵⁾، والهداية: الرِّشَادُ والدَّلالة بلطفٍ إلى ما يوصلُ إلى المطلوب، وهَدَاهُ الطريقَ: أَرَشَدَهُ وعَرَّفَهُ، وهَدَاهُ لَهُ: دَلَّه عليه وبيَّنه له، فالهُدَى: البيان⁽⁶⁾، والهدى والهداية في اللغة واحد، والاهتداء يختصُّ بما يتحرَّاه الإنسانُ على طريق الاختيار، إمَّا في الأمور الدُّنيويَّة، أو الأُخرويَّة⁽⁷⁾.

إذن، يتميَّزُ الرُّشْدُ بمعنى الصَّلاح والدَّلالة والهداية إلى الطريقِ الحقِّ مع تصلُّبٍ فيه، فالرُّشْد: إصابةُ الخير، ولا يكون إلَّا إلى الشَّيْءِ المحبوب، بينما تتميَّز الهداية: بمعنى الإرشاد والبيان، والدَّلالة بلطفٍ إلى ما يوصلُ إلى المطلوب، وإلى الغايةِ المرجوة. والحاصلُ أنَّ الرُّشْدَ أخصُّ من الهدى، فالرُّشْدُ هدايةٌ إلى الطريقِ الأسَدِّ الصحيحِ الصائبِ الأَقصد، لا مطلقَ الهدايةِ إلى طريقٍ ما، أمَّا الهداية في أصلها؛ فهي الدَّلالةُ المُطلقة⁽⁸⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رشد).

(2) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدي، تاج العروس: (رشد).

(3) جبل، للعجم الاشتقاقى للوُضَل: (رشد).

(4) السَّمين الحلي، غمدة الحُفَّاظ: 93/2.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هدي).

(6) الأزهرى، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدي، تاج العروس: (هدى).

(7) الراغب، المفردات، ص: 839.

(8) جبل، للعجم الاشتقاقى للوُضَل: (رشد).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريم الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446 هـ - 2024 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريم الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريم الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»